أثر الإحالة في إبراز المناسبة بين الآيات القرآنية

د. عبد الله مقدادي*

تاريخ وصول البحث: 2021/08/16م **تاريخ قبول البحث: 2022/03/01م**

ملخص

علم اللســـانيات من العلوم التي ظهرت حديثاً، ويعد "فان دايك" مؤســـس نظرية لســـانيات الخطاب، حيث بحث مبادئ هذا العلم في كتاب أسـماه "النص والسـياق"، ولكن بالرجوع لكتب النحو العربية، نجد أصول هذا العلم الذي يقوم على ربط الجمل بعضها ببعض من خلال الضمير أو اسم الإشارة، أو الاسم الموصـــول، مبثوثاً في ثنايا التراث العربي القديم، وليس بالعلم الدخيل على العربية. وقد عمد الباحث من خلال هذا البحث إلى تعريف الإحالة، وبيان أنواعها، وذكر أقســـامها، كما ذكر بعض الأمثلة التطبيقية عليها، وبيان توافقها مع ما قال به أهل اللغة والتفسير، ثم ذكر أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، المناسبة.

The Effect of the Reference in Highlighting the Occasion between the Qur'anic Verses

Abstract

Linguistics is a newly emerging science, and "Van Dyck" is considered the founder of the Linguistics Theory of Discourse, as he discussed the principles of this science in a book called "Text and Context", but by referring to Arabic grammar books, we find the origins of this science which is based on linking sentences to each other through the pronouns, relative pronouns, or demonstrative nouns, is transmitted in the folds of the ancient Arab heritage, and not with the foreign knowledge of Arabic. The researcher in this study has defined the referral, explained its types and divisions, mentioned some practical examples, indicated its compatibility with what the people of language and interpretation said, and then mentioned the most important results of the research.

Keywords: Occasion, Referring.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنّ جمالية القرآن الكريم تظهر عند كل آية من هذا الكلام الخالد, ومعنى كل لفظة من هذا النسيج البديع، حيث تنتقل بك الآيات القرآنية من الحديث عن الجنة إلى الحديث عن النار، ومن الحديث عن الإيمان والمؤمنين إلى الحديث عن

* باحث، وزارة الأوقاف – mgdadeabdullah@yahoo.com

الشرك والمشركين، ومن قصـةٍ إلى عبرةٍ، ومن عبرةٍ إلى عظةٍ، كل ذلك بأسلوب يسحر الفؤاد، ويأخذ بالألباب، يربطها ربطاً عقلياً أو موضوعيّاً، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة؛ لتبيّن أهم المسالك التي سلكها المفسرون -رحمهم الله تعالى- في بيان تناسب آيات القرآن الكريم من خلال الإحالة.

مشكلة الدراسة.

تأتي أهمية علم المناسبة في تجلية أوجه الترابط والتماسك بين آيات القرآن الكريم، وبيان جمال نظمه، وجودة سبكه. فما المسالك التي تنطوي تحت هذا الموضوع –الإحالة- وما مدى الصلة بينها وبين علم المناسبة وما قاله المفسرون؟، وهل جاءت متناسبة مع ما ذهب إليه المفسرون في ابراز التناسب بين آي القرآن الكريم؟ وكيف جاءت هذه المسالك وكيف ابتنيت؟ من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة، التي جاءت تجيب عن الأسئلة الآتية.

1- ما مدى التوافق بين الأسس والأطر التي يقوم عليها مفهوم الإحالة، وبين قواعد التفسير وأقوال المفسرين الذين قالوا بالمناسبة من خلال ما يندرج تحت مفهوم الإحالة؟
2- ما القواعد التي ابتنيت عليها أوجه المناسبة بين آي القرآن الكريم من خلال الإحالة؟
3- ما المسالك التي اعتمد عليها المفسرون في تجلية التناسب بين آي القرآن الكريم من خلال الإحالة، وما مدى ارتباطها باللغة وبالقواعد العربية؟

أهداف الدراسة ومسوغاتها.

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- بيان مدى التوافق بين الإحالة بمفهومها الحديث وبين علم المناسبة والتفسير عند المفسرين.
2- بيان القواعد والأطر التي بُنيت عليها الإحالة، وهل تصلح لتكون وجهاً من أوجه التناسب والترابط بين الآيات القرآنية؟.
3- توضيح الأسلوب القرآني وكيف تنوع في الانتقال، وكيف تغاير في أسلوب عرض الموضوعات القرآنية، وما أثر الإحالة في تجليته وبيانه.
4- بيان أبرز المسالك التي ابتنيت من خلال مفهوم الإحالة.

أهمية الدراسة.

قلّت الدراسات القرآنية إلى مثل هذا النحو من البحث والدارسة، وما بني عليها من تطبيقات، ذلك أنّ من ناقش ودرس المناسبة من جانب الإحالة إنّما بحث فيما توصل إليه من خلال كلام نظري ولغوي متمشياً مع ما قال به علماء اللسانيات، لا مع ما قاله علماء التفسير وكلام المفسرين، وأمّا قواعد التفسير وما كان من أسس ومسالك لهؤلاء المفسرين، فإنّها لم تلق البحث والدرس، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، إذ تكشف عن تلك القواعد والأطر التي ابتنيت من خلال
الربط بين كلام المفسرين ومن تكلم باللسانيات.

الدراسات السابقة.

1- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب إعداد خليل البطاشي، وهي رسالة ماجستير جامعة اليرموك، كلية الآداب، وتم طباعتها في دار جرير، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2009م، وقد تحدثت الدراسة عن علم اللسانيات بشكل عام، وجاءت الدراسة تطبيقية على سورة الأنعام بشكل خاص، وقد أخذ الجانب التحليلي الحيز الأكبر منها، دون التركيز على التناسب وعلم المناسبة.
2- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على سور القرآن، اعداد صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، 2001م. وهذه الدراسة مماثلة لسابقتها تناولت لسانيات النص بوجه عام، دون الوقوف على الإحالة وبيان أثرها في إبراز المناسبة بشكل كامل.
3- الإحالة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، اعداد عبد المجيد بو ترعة، بحث محكم، مجلة الأثير، جامعة الوادي، الجزائر، اشغال الملتقى الوطني الأول، رقم العدد 22/2/23/2012م. وقد أشار إلى مفهوم الإحالة بوجه عام، دون أن يفرد لكل لون من ألوان الإحالة مبحثاً أو مطلباً، ودون أن يقف عليه بدراسة مستفيضة، مكتفياً بذكر بعض الأمثلة على الإحالة بوجه عام، معتمداً على المصطلحات الغربية التي تنطلق من النص، والتي تعتبر هي المهيمنة على الدراسة، في حين جاءت هذه الدراسة مبتناة على أقوال المفسرين ومنطلقة منه، مع مراعاة روح القدسية للآية القرآنية وأنها مهيمنة على الدراسة.

وقد أفاد الباحث من هذه البحوث على وجه العموم، وتميز هذا البحث بأنه وقف على جانب الإحالة دون غيره من اللسانيات، كما أنه تناول مفهوم الإحالة بما يتمشى مع منهج التفسير وقواعد المفسرين بعيداً عن المصطلحات الغربية والمنهج الغربي، وهو ما لم تتطرق إليه الدراسات السابقة.

منهج البحث.

وأمّا المناهج التي اعتمدت الدراسة عليها فقد جاءت على النحو الآتي:

1- المنهج الاستقرائي: حيث يتم استقراء مفهوم الإحالة وبيان أنواعها وأدواتها، ثمّ الوقوف على أقوال المفسرين الذين قالوا بالمناسبة، وبيان ترابطها وانسجامها مع علم اللسانيات.
2- المنهج التحليلي: بعد استقراء مفهوم الإحالة وبيان توافقه مع أقول المفسرين، قام الباحث بمناقشة هذه الأقوال وتحليلها وبيان ما يصلح لأن تكون ضمن أوجه المناسبة.
3- المنهج الاستنباطي: بعد تحليل المسائل، والرد على ما يخالف منهج المفسرين وأصوله، ومن ثمّ تقسيم المباحث حسب متطلبات البحث، ومن ثمّ تسجيل النتائج التي تم التوصل إليها.

خطة البحث:

المبحث الأول: تعريف مصطلحات البحث.
المبحث الثاني: أنواع المناسبة.
المبحث الثالث: أنواع الإحالة.
المبحث الرابع: التناسب بالإحالة.

المبحث الأول:
تعريف مصطلحات البحث

المطلب الاول: تعريف الإحالة:

الإحالة في اللغة:

يقول ابن فارس: "الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَحَرُّكٌ فِي دَوْرٍ. فَالْحَوْلُ الْعَامُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَحُولُ، أَيْ يَدُورُ. وَيُقَالُ حَالَتِ الدَّارُ وَأَحَالَتْ وَأَحْوَلَتْ: أَتَى عَلَيْهَا الْحَوْلُ... وَحَالَ الشَّـــخْصُ يَحُولُ، إِذَا تَحَرَّكَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُتَحَوِّلٍ عَنْ حَالَةٍ... وَالْحِيلَةُ وَالْحَوِيلُ وَالْمُحَاوَلَةُ مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ يَدُورُ حَوَالَيِ الشَّـــيْءِ لِيُدْرِكَهُ"[1]. فهذه المعاني لا تناقض بينها؛ لأنها تحمل معنى واحداً وهو الرجوع والعودة، فنقول: حال الحول؛ إذا عاد ورجع، ولا يحمل المعنى على عودة الزمان ورجوعه، ولكن على الحدث الذي يقع في ذلك الزمان، نحو: شهر رمضان، فإنه يتكرر في كل عام، ويسمى ذلك حولاً، فإذا جاء رمضان المقبل يقال حال الحول، ومن ذلك أحال الضمير إلى كذا إذا رجع عليه.

الإحالة في الاصطلاح:

"هي وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وإنما تحيل إلى عنصر آخر، ولذا تسمى عناصر محيلة"[2]. فالإحالة هي أسماء لا تعطي معنى بذاتها، لأنها مفتقرة إلى غيرها في ابراز معناها، ولذا سميت إحالة، لأنها ترجع إلى غيرها ليبرز معناها ويجليها.

المطلب الثاني: تعريف المناسبة.

التناسب في اللغة:

قال ابن فارس: "النون والسين والباء (نسب) كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله والاتصال به"[3]. وعرّفه الراغب الأصفهاني بأنه: "اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نَسَبٌ بالطُّول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونَسَبٌ بالعَرْض كالنِّسْبة بين بني الإخْوة."[4] ومنها أيضاً المشاكلة تقول: "ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة"[5].

فالمناسبة في اللغة تحمل معنى الاتصال، وهو يتفق مع المعنى اللغوي، فلا بد من رابط يربط بين الجمل والمفردات في التراكيب البلاغية، وإلاّ لكان الكلام ركيكاً.

المناسبة في الاصطلاح:

عرّف ابن العربي المناسبة بأنه: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[6]. ويفهم من هذا ما يعرف بالوحدة الموضوعية للقرآن، أو ما يفهم بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم عند من لا يقول بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم.

وعرّف البقاعي التناسب بأنّه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"[7]. ويقصد بالعلل: جمع علة، وهي السبب الذي يقبله العقل ويرتضيه النص؛ كأن تكون الآية الثانية صفة لمذكور في الآية التي قبلها. ويقصد بأجزاء القرآن: المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة، والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين السور.

وعرّف بعض المتأخرين علم المناسبة بأنّه: "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بالمعنى الذي يربط بين سور القرآن العظيم وآياته"[8]. فتعريف بازمول أعم من التعريفين السابقين، حيث جعل هناك قواعد عامة يجب مراعاتها والتسليم بها، وجعل أموراً جزئية تتعلق بالفهم واللغة، في حين اقتصر تعريف ابن العربي والبقاعي على العلل التي تندرج تحت الأمور الجزئية لا القواعد العامة.

وعليه يمكن تعريف علم المناسبة: بأنه علم يُعنى ببيان ترابط أجزاء القرآن الكريم وفق أصول علمية ثابتة، ومنهج علمي. ويقصد بأجزاء القرآن؛ المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة، والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين السور.

المبحث الثاني:
أنواع المناسبة.

تتنوع صور التناسب في القرآن الكريم، من تناسب بين السور القرآنية بعضها مع بعض، وتناسب في السورة القرآنية الواحدة من خلال الموضوعات المتنوعة التي تتناولها السورة الواحدة، كما تتنوع صور التناسب في الآية الوحدة، وفيما يأتي صور لهذه الأنواع من التناسب:

المطلب الأول: التناسب بين السور.

من جماليات القرآن الكريم تناسب آياته، وترابط جمله، وتناسق سوره، فإذا وقفت عليه- القرآن الكريم- أخذك جمال التعبير، وروعة التصوير، ودقة المفردة، وانتضام المعنى، واستقامة المبنى فهذا التربط صورة من صور الإعجاز سواء عقلناه ووعيناه، أو غاب عن عقولنا وأذهاننا، وذلك لقصور العقل والفهم البشري. يقول الزركشي: "في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له، قلت: وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى"[9]. بناءً على فهم المفسر وفقهه.

ومن صور التناسب ما افتتحت به سورة النجم وختمت به سورة الطور، فقد ختمت سورة الطور بقوله: **[وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ]**[الطور: ٤٩]، وافتتحت سورة النجم بقوله: **[وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى]**[النجم: ١]، فجاء ما ختمت به سورة الطور مناسباً لما افتتحت به سورة النجم، حيث ختمت سورة الطور بالحديث عن النجوم، وهو ما افتتحت به سورة النجم.

وأما سورة الأعلى فقد "فضل الآخرة على الأولى، وفي الغاشية؛ تفصيل لما في الآخرة من عذاب ونعيم"[10]. فكانت مكملة لما قبلها وموضحة لها، وهنا يظهر مدى الترابط والتناسب بين السور القرآنية، فلا تقرأ سورتين متجاورتين في

القرآن الكريم إلا وتجد بينهما رابطاً يربطهما، أو مناسبة تجمعها، بأسلوب عجيب، ونظم رهيب، أعجز البلغاء، وأسكت الأدباء، وحير الخطباء، وألجم الشعراء، بإعجازه وترتيب سوره وآياته، وجودة لفظه وحسن سبكه.

المطلب الثاني: التناسب بين الآيات.

المناسبة بين الآيات إمّا أن تكون ظاهرة للعيان وذلك لكمال اتصالهما، أو أن تكون الآية مستقلة عن سابقتها غير ظاهرة الترابط، وهذا النوع يحتاج إلى تدبر وتمعن في الآيات والسياق الذي جاءت به. "والذى ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم"[11]. فهذا النوع من التناسب هو أوسع الأنواع على الإطلاق، حيث تنوعت أوجه التناسب وتعددت أساليب التناسق، فهناك مسالك نحوية، وبلاغية، العقلية، الموضوعية، بديعية. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

قال تعالى: **[إِذَا جَآءَ نَصرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيتَ ٱلنَّاسَ يَدخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفوَاجا * فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَٱستَغفِرهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا]**[النصر: 1-3].

افتتحت سورة النصر بأسلوب الشرط، الذي جعل آخر السورة متعلقاً بأولها، والتحم المقطع بالمطلع حيث، "رجع آخر السورة إلى أولها؛ لأنه لولا تحقق وصفه بالتوبة لما وجد الناصر الذي وجد به الفتح، والتحم مقطعها أي التحام بمطلعها، وعلم أن كل جملة منها مسببة عما قبلها، فتوبة الله على عبده نتيجة توبته باستغفاره الذي هو طلب المغفرة بشروطه، وذلك ثمرة اعتقاده الكمال في ربه، وذلك ما دل عليه إعلاؤه لدينه"[12].

فالنصر والفتح متوقف على التوبة، كما أنّ النصر والفتح ودخول الناس في هذا الدين محفز على التسبيح والاستغفار والتوبة، فتعلقت الأحداث والوقائع بعضها ببعض، لتعطي بنية متناسبة متناسقة، "فسبح بحمد ربك هذا جواب الشرط، وهو العامل فيه، والتقدير: فسبح بحمد ربك إذا جاء نصر الله"[13].

فجاء الترتيب في ذلك ليعطي تناسباً وتناسقاً، حيث أمر بالتسبيح، ثم بالحمد، ثم بالاستغفار، قال الرازي: "وذلك لأنه قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالنفس، فذكر أولاً من الخالق أمرين أحدهما: التسبيح والثاني: التحميد، ثم ذكر في المرتبة الثالثة الاستغفار، وهو حالة ممزوجة من الالتفات إلى الخالق وإلى الخلق"[14].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: **[وَٱلمُؤمِنُونَ وَٱلمُؤمِنَٰتُ بَعضُهُم أَولِيَآءُ بَعض يَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم* وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلمُؤمِنِينَ وَٱلمُؤمِنَٰتِ جَنَّٰت تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَة فِي جَنَّٰتِ عَدن وَرِضوَٰن مِّنَ ٱللَّهِ أَكبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ ٱلعَظِيمُ]**[التوبة:٧١ – ٧٢].

إنّ فكرة التضاد تقوم على أساس الأمر ونقيضه، وهي مبنية على المغايرة بين الالفاظ، والتنوع في الخطاب، يؤتى بها لغاية تنميق الكلام وتحسينه، لا الاختلاف المبني على التردد والاضطراب، والحشو الذي لا فائدة فيه، قال رشيد رضا: "هاتان الآيتان معطوفتان على الآيات الأربع التي قبلها; لبيان المقابلة بين المؤمنين والمنافقين وما بينهما من التضاد في الأقوال والأفعال التي يقتضيها الإيمان- الذي يدعيه المنافقون كذبا وتقية - والجزاء عليه وعليها."[15]

فقد عدل الحق سبحانه في الآيات السابقة عند حديثه عن المنافقين وما هم ملاقوه، إلى الحديث عن المؤمنين وما هم صائرون إليه، ومن المعلوم أن الإيمان مبني على اليقين والثبات والتصديق، وأنّ النفاق يقوم على الشك والتردد والتكذيب، وهذا غاية في التضاد بين الفريقين، ومن هنا تظهر المناسبة بين هذه الآيات.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل في الآية الواحدة.

إنّ ترتيب الآيات يُعد وجهاً من وجوه إعجازه، كذلك الحال في ترتيب جمل الآية الواحدة، ومن هنا تكمن أهمية المناسبة بين جمل الآية الواحدة. يقول ابن عطية: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب -يومئذ- في سلامة الذوق."[16]

فعند قوله تعالى: **[لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا]**[النساء: ١١٤] يذكر الإمام الرازي وجه المناسبة "بأن أعمال الخير ثلاثة أنواع: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس؛ لأن عمل الخير: إما أن يكون بإيصال المنفعة، أو بدفع المضرة، أما إيصال الخير: فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال، وهي الأمر بالصدقة، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية، وهو تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال، ومجموعهما الأمر بالمعروف، وأما إزالة الضرر فهي إصلاح بين الناس، فثبت أن مجامع الخيرات في هذه الآية."[17]

ومن صور الترابط في الآية القرآنية، ارتباط الفاصلة بسياق الآي، وهذا اللون من الترابط يُعد جوهراً من جواهر البلاغة، وذلك لما تختزله الفاصلة من معانٍ واضحة، تعطي جودة للسبك، وسعة في الدلالة، ففي قوله تعالى: **[وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]**[المائدة: ٣٨] قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية فقلت (والله غفور رحيم) سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله. قال أعد، فأعدت: ثم تنبهت فقلت (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فقال: الآن أصبت، فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا، عزّ فحكم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع[18].

وبهذا تبرز أهمية الفاصلة القرآنية وارتباطها بالسياق القرآني، فلا يستقيم المعنى بغير ما ذيلت به، ولو ذيلت بغير ما ذيلت به لضعف المعنى، وتغير المبنى كما تنبه لذلك الأعرابي بسليقته وفهمه، لا بحفظه وعلمه.

المبحث الثالث:

أنواع الإحالة وأثرها في تماسك النص.

المطلب الأول: أنواع الإحالة

تقسم الإحالة إلى قسمين وهما: الإحالة النصية والإحالة المقامية وفيما يأتي توضيح لهما:

1) **<u>الإحالة النصية:</u>**

وهي التي تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق داخل النص. وهذه تتفرع إلى إحالة قبلية، وإحالة بعدية[19]. فالإحالة النصية تتفرع إلى نوعين، إحالة قبلية أي: لما سبق ذكره، أو لاحق لما سيذكر بعد أدوات الإحالة، وهي ما تعرف بالإحالة الداخلية، وهذا النوع من الإحالة، يحيل القارئ إلى عنصر لغوي داخل النص، فهو إمّا أن يحيلك لما سبق ذكره من شخص أو معلم، أو أن يحيلك لما هو لاحق بعد أداة الإحالة، وهوما يعرف بعودة الضمير، أو اسم الإشارة.

فالإحالة النصية تعمل على ربط الجملة بما يسبقها، أو بما يلحقها، بأن يربط بين الجملتين بضمير أو اسم إشارة أو اسم موصول، كقوله تعالى: **[الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ]**[البقرة: ٣] فالاسم الموصول (الذين) في هذه الآية يحيل إلى عنصر سابق، وهم (المتقين) الذين سبق ذكرهم في الآية السابقة لهذه الآية، وهذا ما يعرف بالإحالة القبلية، حيث أغنى الاسم الموصول عن الإعادة لـ(المتقين)، ومن ثمّ ربط بين الآيات.

وأما الإحالة البعدية: فهي تحيل لعنصر لاحق لم يسبق ذكره بعد، نحو قوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ]**[البقرة: 6] فالاسم الموصول في هذه الآية (الذين) لم يحل إلى ما هو قبله كما في المثال السابق، بل أحال لما بعده، وهم المشركون الذين لم يسبق لهم ذكر، فقد أحال لما بعده، وهذا ما يعرف بالإحالة البعدية.

فهذا النوع من الإحالة –الإحالة النصية- يسهم في ربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، "فالإحالة النصية تركز على العلاقات اللغوية في النص ذاته، وقد تكون بين ضمير وكلمة، أو بين كلمة وكلمة، أو عبارة وكلمة"[20].

والإحالة النصية متوافقة مع قواعد اللغة وما قال به المفسرون، فإنّ الضمير أو اسم الإشارة أو الاسم الموصول لابد أن يعود على مذكور ليجليها ويبين دلالة معناها، فهي "مفتقرة في دلالتها ومعناها البتة إلى شيء، وهو المرجع في ضمير الغائب"[21]. فلا تعارض بين أهل اللغة والتفسير وبين من قال بالإحالة من أهل اللسانيات، وإن اختلفت المسميات.

2) <u>الإحالة المقامية</u>

وهي التي تحيل إلى عنصر خارج النص.[22] وتسمى الإحالة الخارجية فهي توجه المخاطب إلى معلم خارجي، حيث تسهم هذه الإحالة في ربط النص بالسياق العام للموضوع، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: **[إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ]**[التكوير: ١٩] فإن الضمير (الهاء) يحيلنا إلى عنصر خارج الآيات، ليس له ذكر سابقاً، ولا لاحقاً، كما في الإحالة النصية، بل جاء الضمير ليحيلنا إلى عنصر خارج النص، "وهو القرآن الكريم"[23]، وإن كانت الآيات السابقة تهيئةً لبيان شأن القرآن، إلاّ أنه لم يسبق له ذكر.

فهذا النوع من الإحالة –الإحالة المقامية- لا يربط مفردة بمفردة، ولا جملة بجملة، بل يربطك بالسياق نفسه، فمن خلال السياق القرآني تعرف العنصر المحال إليه، "فالإحالة المقامية لا تمنح النص تماسكاً، لأنه لا يربط عنصرين ببعض في السياق، بل يقتضي النظر خارج النص القرآني لتحديد المحال إليه."[24] فتماسك النص القرآني وترابطه في أعلا درجاته، ومع ذلك لم يحل الضمير إلى مذكور قبله.

وعليه فإن الفرق بين الإحالة النصية والإحالة المقامية: "أن الإحالة المقامية تسهم في الربط بين الآيات، ومن ثمّ بسياق المقام، في حين تقوم الإحالة النصية بدور فعّال في اتساق النص."[25] فالإحالة النصية تربط أجزاء النص وجمله ومفرداته بعضها ببعض، في حين أنّ الإحالة المقامية تربطك بالسياق العام للسورة، وتبرز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وللقرآن بأسره، فلا أثر لها على الجمل والمفردات.

المطلب الثاني: أثر الإحالة في تماسك النص.

من خلال تعريف الإحالة والوقوف على دلالة المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح؛ تظهر للمتأمل أنّ العناصر المحيلة لا تعطي معنى بذاتها من حيث التأويل، وعليه فلا بد من عودتها إلى ما يبين دلالتها ويبرز معناها، فأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر، لا تحمل معنى بذاتها، ولا تعطي دلالة دون سياقها، يقول ابن هشام عند كلامه عن الضمائر: "فهي مفتقرة في دلالتها ومعناها البتة إلى شيء، وهو المرجع في ضمير الغائب، وقرينة التكلم، أو الخطاب في ضمير الحاضر"[26]. فإذا قلنا: هو، أو هي، فلا بد من تتميم للجملة؛ لتفهم دلالة الضمير من خلال المعنى الذي يحيل عليه، فتقل: هو الذي أكرمني، أو هي التي نجحت، وهو الحال نفسه مع أسم الإشارة والموصول.

فالإحالة قادرة على ربط أجزاء النص المتباعدة من خلال ربط الموضوعات، والجمل والمفردات بعضها ببعض، "فالإحالة وسيلة اتساق قوية؛ لأنها تصنع ربطاً معنوياً وتماسكاً دلالياً ملحوظاً، تحفّز المتلقي وتشد انتباهه للعلاقة المعنوية، كما تساعد في إعمال ذهنه لبيان العلاقة بين السابق واللاحق"[27]. وهذا يؤكد أهمية الإحالة في ابراز تماسك النص وبيان ترابطه.

مع أن الإحالة تسهم في بيان التماسك بين الآيات القرآنية، فإنّها لا تخضع لقيود النحو كما هو معلوم عند أهل اللغة، يقول النحاس: "تعد الإحالة رابطاً مهماً في اتساق النص، وربط أجزائه بعضها ببعض، وهي لا تخضع لقيود نحوية، ولكنها تخضع لقيود دلالية، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[28].

ولكنها في الوقت نفسه لابد أن تخضع لقيد آخر يربطها بالنص، ويجعل لها أثرها في ابراز النسق الواحد للنص كما يقول مصطفى النحاس، فلا بد ان تخضع لقيود دلالية لمعرفة المحيل والمحال إليه، فالتطابق بين الضمير ومن يعود عليه، وبين الموصول وصلته، وبين اسم الإشارة والمشار إليه أمر في غاية الأهمية ليستقيم المعنى وينتظم المبنى الدلالي للنص، فلا يصح أن نقول: (الطلاب فاز بالجوائز) بصيغة الإفراد للفعل، بل لا بد أن يوافق الضمير الاسم المحال إليه تذكيراً وتأنيثاً، إفراداً وجمعاً، فنقول: (الطلاب فازوا بالجوائز) ليستقيم المعنى وينتظم المبنى.

فهي تتفق وتفترق في هذا المقام مع مباحث علم النحو، فهي تتفق في الجانب الدلالي فلا بد من التطابق بين العنصر المحيل والمحال إليه، وتفترق بأن الإحالة لا تخضع للجانب النحوي، فالموصولات والضمائر وأسماء الإشارة وإن كانت من مباحث علم النحو، ومن قواعد أهل اللغة، ولكن في جانب اللسانيات لا تخضع للجانب النحوي، بل لإبراز الترابط النصي وبيان تماسكه.

المبحث الرابع:
صور التناسب بالإحالة.

المطلب الأول: الضمائر وأثرها في ابراز المناسبة.

أطال الباحثون في حديثهم عن الضمائر، وما تحققه من تماسك وترابط بين أجزاء النص، وما تسهم به هذه الضمائر من انسجام شكلي، أو دلالي لبنية النص وتراكيبه، فقد تحيلك هذه الضمائر إلى كلمة مفردة، أو جملة، أو قد تحيلك إلى مجموعة من التراكيب، "وذلك أن الربط بالضمير بديل لإعادة ما ذكر، أيسر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار"[29].

وأما من حيث معناها "فالضمائر مفتقرة في دلالتها ومعناها البتة إلى شيء، وهو المرجع في ضمير الغائب، وقرينة التكلم، أو الخطاب في ضمير الحاضر"[30]. فهي تعتمد في معناها على قرينة لفظية لتجلي دلالتها، وتبرز معناها، وتوضحه.

وأمّا من حيث تقسيم الضمائر عند أهل النحو فهي: "الضمير المستتر، والضمير البارز وهو ينقسم: إلى متصل ومنفصل، والمستتر إلى واجب الاستتار وجائزه"[31]. ثمّ إن كل نوع من هذا الأنواع له قسمته، وهو خارج دراستنا، ولكن لا بد من التنبه له.

وأمّا التقسيم عند الذين عنوا باللسانيات، فتنقسم الضمائر الشخصية إلى نوعين: ضمائر وجودية نحو؛ أنا، وأنت، وهو، وهي...الخ، وضمائر ملكية نحو؛ كتابي، كتابك، كتابه ... الخ[32]. والضمائر الوجودية: هي ضمائر المخاطب والمتكلم والغائب، وأما الضمائر التي تؤدي دوراً هاماً في اتساق النص "فهي التي تندرج تحت ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً، عكس ضمائر المتكلم والمخاطب، حيث تحيل قبلياً بشكل نمطي؛ إذ تقوم بربط أجزاء النص، وتصل بين أقسامه"[33]. وبهذا يبرز الفرق بين ما اعتمد عليه اصحاب اللسانيات وبين أهل اللغة والتفسير، فدلالة الضمير في اللغة أوسع وأعمق مما هي عليه عند أهل اللسانيات.

ويستنتج أن الضمائر تحيلنا بالشكل النمطي إلى ما هو معلوم، فتحيل لما قبلها مباشرة، نحو قولك: ذهبتُ وزيداً؛ فإنّ التاء تحيل إلى المتكلم مباشرة، وهو الحال نفسه مع ضمير المخاطب، فإنها تحيلك للمخاطب مباشرة، أو تحيل إلى ما هو خارج النص، نحو ضمائر الغيبة التي لا تكون بشكل نمطي، فتحيل لما هو في الذهن لا في النص.

وتكمن أهمية ضمير الغيبة؛ بأنّه لا بد له من مرجعية يعود عليها سواء أكانت متقدمة، أو تفهم من خلال السياق كما يقول الأفغاني: "لكل ضمير غيبة مرجع يعود إليه... وقلما يعود إلى غير مذكور لا لفظاً ولا معنى، ولا يكون ذلك إلا عند قيام قرينة لدى السامع على المقصود منه... وإذا تقدم الضميرَ أكثرُ من مرجع، رجع غالباً إلى أقرب مذكور"[34].

ولكن قد تتضارب الأقوال في مرجعية الضمير، خاصة في ضمائر الغائب، أو قد يذكر الضمير دون أن يتقدم له ذكر، ففي هذه الحالة لا بد من العودة للسياق حيث "يأتي دور السياق في معرفة الضمير، خاصة إذا كان الضمير مرجعيته غامضة، أو كانت مرجعيته خارجية؛ لأن المرجعية الخارجية تعتمد على سياق الحال"[35]. والمقصود في المرجعية الخارجية أن تكون

عودة الضـمير لما هو خارج الآيات، فيحيل الضـمير لما لم يذكر من قبل كما في قوله تعالى: **[إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُـولٍ كَرِيمٍ]** فإنّ الضمير (الهاء) يحيلنا إلى عنصر خارج الآيات، وهو القرآن الكريم.

وفيما يأتي أمثلة تطبيقية نبرز فيها القواعد السابقة، ونبين أثرها في تجلية المناسبة القرآنية بين الآيات.

أولاً: قوله تعالى: [وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ]البقرة: ٤٥.

اختلف المفسـرون في المخاطبين بقوله I: **[وَاسْـتَعِينُوا]** على قولين: القول الأول: هم المؤمنون بالرسـول ε؛ لأن من ينكر الصلاة والصبر لا يكاد يقال له استعن بالصبر والصلاة، فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق بمحمد ε، والقول الثاني: أن يكون الخطاب أولاً لبني إسرائيل، ثم يقع بعد ذلك خطابا للمؤمنين بمحمد ε ويعقب الرازي على ذلك بقوله: "والأقرب أن المخاطبين هم بنو إسرائيل؛ لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم"[36].

وقد اعتمد الرازي في ترجيح القول الثاني على أنّ الخطاب موجه إلى بني إسـرائيل من خلال السـياق القرآني، فإنّ هذه الآية جاءت في معرض الحديث عن بني إســرائيل، وذكر المنن التي امتن الله -تعالى- بها عليهم، ولو كان الخطاب موجهاً للمؤمنين، لأدى ذلك إلى تفكك النظم بين الآيات، فلا يعقل أن تتحدث الآيات عن بني إســرائيل، ثمّ تتحدث عن المؤمنين في آية واحدة، ثمّ تعود للحديث عن بني إسرائيل في باقي الآيات.

وأمّا من عدّ عودة الضــمير للمؤمنين، فقد اعتمد على أن الخطاب للمؤمنين، وأمّا اليهود فلا يعقل أن يخاطبوا بالصــبر والصـلاة وهم يكفرون بها[37]. ويرد الرازي على ذلك، بأن الخطاب لبني إسرائيل أولاً، ويحمل بعد ذلك على المؤمنين، لا أن يكون للمؤمنين دون بني إسرائيل، وذلك أنّ اليهود لا ينكرون الصلاة، بل لهم صلاتهم بكيفية معينة[38].

وأما أنّ الخطاب للمؤمنين بالرسـول ε، وحمل الآية على الالتفات، أو من باب الإظهار في مقام الإضـمار، فهذا لا يسلم به، كما يقول ابن عاشـور من وجهين، الوجه الأول: الانتقال من خطاب إلى خطاب آخر، وهذا وهم؛ لأن وجود حرف العطف يدل على خلاف ذلك، والوجه الثاني: أنّ (الخاشــعين) الذين جاء نعتهم بالآية بينتهم الآية التالية قوله: **[ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِم وَأَنَّهُم إِلَيهِ رَٰجِعُونَ]**[البقرة: ٤٦]، وأما أن يكون من الإظهار في مقام الإضــمار، فهو على خلاف الظاهر مع عدم وجود الداعي، ثمّ ينكر ابن عاشور على من توهم أنه لا يؤمر بالصبر والصلاة من لم يكن قد آمن بها، فيبين أن قريباً منها قوله تعالى: **[وَأَقِيمُواْ ٱلصَّــلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱركَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ]**[البقرة: ٤٣] ثمّ علق على ذلك، أن الخطاب لبني إســرائيل لا محالة[39]. فكيف يصح أن نجعل الخطاب للمؤمنين في الآية بقوله: (واستعينوا) مع أنّ الخطاب في الآيات السابقة للآية أمرت بإقام الصلاة والزكاة والركوع، مع العلم أن الخطاب لأهل الكتاب؟ فمن خلال السياق يتضح أنّ الضمير في الآية يرجع إلى بني إسرائيل، وأن الآيات جاءت في معرض النصح والتذكير، معطوف على بعضها في سياق واحد.

ومن الأمثلة كذلك على إبراز التناسب بالضمير قوله تعالى: **[الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]**[البقرة: ١٤٦].

تحدثت الآيات القرآنية عن أهل الكتاب، وما هم عليه من الكفر والجحود بالإســلام ورسـول الإسـلام، مع علمهم به، وبصدقه وصدق نبوته، وقد أورد المفسرون مجموعة من الاحتمالات على عودة الضمير في قوله تعالى: (يعرفونه) فقيل: يعود على النبي ε، وقيل: على القرآن، وقيل: على العلم، وقيل: القبلة. وقد أورد الزمخشــري هذه الأوجه جميعها واســتدل على أن الضمير يعود على النبي ε بأن الضمير جاء على صورة مضمرة غير مصرح بها، يقول الزمخشري: "لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع. ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علماً معلوما بغير إعلام"[40].

فيما جعل أبو حيان إحالة الضـمير على النبي ε من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهذه لمسـة جمالية أخرى غير سـابقتها التي أشـار إليها الزمخشـري، فعند قوله تعالى: **[وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُــهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ]** [البقرة:

145] فهذا كله ضمائر خطاب لرسول الله ε، ثم التفت عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، وحكمة هذا الالتفات كما يقول أبو حيان: "أنه لما فرغ من الإقبال عليه بالخطاب، أقبل على الناس، فقال: الذين آتيناهم الكتاب واخترناهم لتحمل العلم والوحي، يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآي السابقة وأمرناه ونهيناه، لا يشكون في معرفته، ولا في صدق أخباره، لما في كتابهم من ذكره ونعته"[41].

فمن خلال السياق، يرى أبو حيان أن الضمير يعود على النبي ε، وأنه عدل في الحديث عن المخاطبة إلى الغيبة لنكتة بلاغية وهي الالتفات، وذلك تنشيطاً للسامع وتحفيزاً له، ومن هنا يبرز أثر الضمير في إظهار المناسبة بين الآيات، وبيان تناسب معناها.

وهذا ما ذهب إليه الآلوسي في تفسيره لهذه الآية، من أنّ الضمير في قوله تعالى: (يَعْرِفُونَهُ) يرجع إلى رسول الله ε وإن لم يسبق ذكره- وذلك من خلال السياق القرآني، حيث يقول: "إنّ دلالة قوله تعالى: **[كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ]** فتشبيه معرفته بمعرفة الأبناء دليل على أنه المراد"[42]. وهو أيضاً ما رجحه صاحب المنار[43].

ثمّ يورد أبو حيان أوجهاً أخرى يمكن أن يعود الضمير عليها. يقول -رحمه الله-: وقيل: المعنى يعرفون صدقه ونبوته. وقيل: عائد على القرآن. وقيل: على العلم. فإن تعلقت المعرفة بالنبي ε، فيكون حصولها بالرؤية والوصف، أو بالقرآن، فحصلت من تصديق كتابهم للقرآن، وبنبوة محمد ε وصفته[44]. وكل هذه الأقوال لا تناقض بينها، وهي مما يحتمله السياق.

بينما ذكر الشوكاني قولين: الأول: أن الضمير يعود على النبي ε، والقول الثاني: يعود على القبلة، وهذا ما رجحه، واستدل على ذلك من خلال السياق الذي وردت به الآيات، يقول الشوكاني: "وعندي أن الراجح الآخر-القبلة-، يدل عليه السياق الذي سيقت له هذه الآيات"[45]. وهذا القول مرجوح؛ لأن الخطاب جاء بصيغة التذكير بقوله تعالى: **[يَعْرِفُونَهُ]** ولو كانت للقبلة لقال يعرفونها، ثمّ أن التشبيه بالأبناء دليل على أنّ النبي ε هو المراد بالخطاب لا القبلة.

ومن هنا تتعدد وظيفة الضمير في الإحالة، فقد يحيلك إلى عنصر واحد، وهو النبي ε، وفي هذه الحالة يحيلك للآيات السابقة لهذه الآية مباشرة، وأما في الإحالات الأخرى، فإنه يحيلك للخطاب كاملاً، وهو في هذه الحالة للسورة القرآنية وموضوعاتها، يقول محمد خطابي: "ويلحظ من هذه الاحتمالات أن الضمير يحيل إلى سابق مذكور، فإذا جعل الضمير محالاً إلى الرسول ε، فقد جاء بضمير الخطاب المتصل، والضمير وفي هذه الحالة محيل إلى عنصر واحد فقط، وإذا كان محيلاً إلى الحق يصبح محيلاً إلى خطاب"[46]؛ لأن الحق يشمل النبي ε، وكل ما جاء به، فهو في ذلك يحيل إلى أكثر من موضوع، من الموضوعات التي تناولتها السورة، وهو ما يعرف بالخطاب، فيكون الضمير قد ربط بين الآيات السابقة من وجه، وذلك بإعادته على النبي ε، وبإعادته إلى غير النبي، ففي هذه الحالة يربطنا بسياق السورة وموضوعاتها.

إنّ تعدد عودة الضمير في الآيات السابقة لا يعد نوعاً من التناقض في تفسير الآية، بل هو نوع من التفاعل الذي يثريه العقل، كما يعطي ترابطاً وتناسباً للآيات القرآنية في كل مرة.

المطلب الثاني: اسم الإشارة وأثره في ابراز المناسبة.

النوع الثاني الذي نحن بصدد دراسته في هذا المطلب هو اسم الإشارة، وهو نوع من أنواع الإحالة التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض. يقول محمد خطاب: "وأسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، بمعنى أنها تربط الجزء

اللاحق بالجزء السابق، ومن ثمّ تسهم في اتساق النص، فإنّ اسم الإشارة المفرد يمكنه أن يحيل إلى جملة بأكملها، أو إلى متتالية من الجمل."[47] وهو في ذلك مشابه لما قبله، فقد يحيل إلى عنصر واحد، أو إلى مجموعة من العناصر.

وأمّا أقسامها فيمكن ترتيبها حسب التصنيف التذكير والتأنيث، أو حسب العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، أو حسب الزماني والمكاني، أو حسب القرب والبعد.[48] "فإذا أردت الإشارة إلى قريب فإنك تشير إليه ب(ذا)، وإذا أردت زيادة البعد زدت كاف الخطاب فتقول ذاك، وإذا أردت زيادة البعد أكثر، أتيت ب(اللام) مع (الكاف) فتصبح ذلك، ويستفاد منها الزيادة في التباعد."[49]

واسم الإشارة من المبهمات؛ لأنها تقع على كل شيء، ولأنها لا تختص بشيء دون شيء، ويلزم البيان بالصفة عند الإلباس.[50] فهي لا تعطي معنى بذاتها، ولذا لا بد من إضافتها إلى ما يوضحها ويزيل إبهامها، وهي تدخل على الأسماء بعمومها، وعلى الزمان والمكان، كما تدخل على المفرد والمثنى والجمع.

ومن المناسبة التي ابتنيت على اسم الإشارة قوله تعالى: **[أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡما لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ]**[الأنعام: 89-90].

اسم الإشارة قد يحيلك إلى عنصر واحد، وقد يحيلك إلى مجموعة من العناصر، كما هو الحال مع الضمير، ففي هذه الآية يحيلنا اسم الإشارة إلى مجموعة من الأنبياء والمرسلين، جاء بهم على شكل مجموعات، كل مجموعة منهم في آية، لو أردنا البسط في أسمائهم في كل آية لطال المقام بتكرارهم، والعرب بسليقتها ترفض ذلك.

فقد أشار الرازي عند تفسيره للآيات السابقة إلى أن اسم الإشارة يحيلنا إلى مجموعة من الأنبياء الذين مضى ذكرهم قبل ذلك، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله –تعالى-، ثم ذكر تعالى أنه آتاهم الكتاب والحكم والنبوة، ثمّ يعقب بالقول: ولا شبهة في أن قوله: **[أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ]** هم الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء، ولا شك في أن قوله: **[فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ]** هو أمر لمحمد -عليه الصلاة والسلام-[51]. وهو ما رجحه الآلوسي وأشار إليه[52].

وذهب أبو حيان إلى قولين في الإحالة اسم الإشارة، الأول: هم الأنبياء السابق ذكرهم، أمره تعالى أن يقتدي بهداهم، والقول الثاني: أن اسم الإشارة يرجع إلى القوم الموكلين، وهم المشار إليهم بالآية السابقة بقوله: **[وَكَّلْنَا بِهَا قَوما]** ثمّ اختلف من المقصود بالقوم، فقيل: المؤمنون، وقيل: الأنبياء السابق ذكرهم، وقيل: المهاجرون والأنصار، وقيل الملائكة، بل ذهب مجاهد إلى أنهم الفرس، ثمّ يرجح أبو حيان بأن القوم الموكلين هم الأنبياء المذكورين[53]. فإذا فسر القوم بالأنبياء، فعند ذلك يكون مطابقاً للقول الأول، ولا خلاف فيه.

ولكن حمل القول على أن الإشارة تحيلنا إلى: (**قَوما**) وهم المؤمنون، فإنه يعمل على تفكيك النظم القرآني؛ وذلك بأن تكون أسماء الإشارة متتاليه ويكون كل واحد يعود على غير سابق، ثمّ إن الله -تعالى- بين للنبي ε أنه آتاهم الكتاب والحكمة والنبوة، فهل يعقل أن يكون هذا للمؤمنين، أو للفرس، ثمّ أمر رسوله ε باتباعهم، فكيف يصح صرف النظر عن الأنبياء إلى غيرهم، أو أن يأمر النبي ε باتباع من أمروا باتباعه وهم المؤمنون؟، كل هذا لا يخدم سياق الآيات، ولا المناسبة.

ويعقب ابن عاشور على الآيات -بعد أن بين أن المشار إليه هم الأنبياء- بقوله: "وتكرير اسم الإشارة، لتأكيد تمييز المشار إليه، ولما يقتضيه التكرير من الاهتمام بالخبر، وأفاد تعريف المسند والمسند إليه قصر جنس الذين هداهم الله على المذكورين تفصيلا وإجمالا... وتخصيصه ε بالذكر، حيث لم يذكر مع الأنبياء المتقدمين، لأنه جمع هدى الأولين، وأكملت له الفضائل، وجمع له ما تفرق من الخصائص والمزايا العظيمة... وقدم المجرور وهو (فبهداهم) على عامله، للاهتمام بذلك الهدى"[54].

وعليه يحمل المعنى (**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ**) عائد على أهل مكة، أو المشركين، ويحمل القوم على المؤمنين، من المهاجرين والأنصار، وتكون عودة اسم الإشارة على الأنبياء –عليهم السلام- السابق ذكرهم. وهذا غاية إيجاز وإعجاز، فقد أغنى ذكر الاسم الإشارة عن إعادة ذكر الأنبياء الثمانية عشر، كما قام بربط الآيات القرآنية، أضف إلى ما أفاده من تناسب وتتناسق، وما أضفى من بيان وبهاء.

ومن الأمثلة على بيان التناسب باسم الاشارة أيضاً قوله تعالى: **[ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]**[البقرة: ٧٤].

إذا كان اسم الإشارة يحيلك بالعادة إلى عنصر واحد، فإنّه أيضاً قد يحيل على أكثر من عنصر، أي احتمالين مختلفين فأكثر، دون تعارض أو اضطراب، فاسم الإشارة (ذلك) الذي ورد في الآية السابقة يحيلنا إلى أكثر من شيء، فتجد البقاعي يذهب إلى القول بأنها تحيلنا إلى النعم والمعجزات. يقول البقاعي: "من بعدما تقدم وصفه من الخوارق في المراجعات وغيرها ذكرهم سبحانه بطول إمهاله لهم"[55].

بيد أنّ الآلوسي يؤول عودة اسم الإشارة الوارد في الآية السابقة عند قوله تعالى: (مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ) إلى قولين مختلفين: الأول إحياء القتيل، والثاني: ما سبق من الآيات التي علموها، كمسخهم قردة وخنازير، ورفع الجبل، وانبجاس الماء والإحياء. وعليه تكون (**ثُمَّ قَسَتْ**) عطفا على مضمون جميع القصص السابقة والآيات المذكورة، وعلى سابقه تكون عطفا على قصة (**وَإِذْ قَتَلْتُمْ**) فَهِيَ كَالْحِجارَةِ؛ أي في القسوة وعدم التأثر.[56]

ففي الإحالة إلى القتيل نجد اسم الإشارة يحيلنا إلى عنصر واحد، وهو ما قبل الآية فيربط الآية بالسياق السابق مباشرة، ولكن في الإحالة إلى الآيات والمعجزات السابقة تكون الإحالة إلى جميع القصص السابقة في السورة وتكون الإحالة إلى مجموعة من العناصر السابقة، وتكون الإحالة إلى الخطاب، وهذا بدوره يعطي تماسكاً لمجموع القصص السابقة والمنن المتتالية التي امتن الله بها على بني اسرائيل، وكل هذا يصب في جوهر التناسب والتناسق.

ومن الأمثلة على كون المشار إليه حاضراً في الذهن، قوله تعالى: **[ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ]**[البقرة: ٢].

حضور اسم الإشارة في الذهن من باب أنه معلوم لدى السامع لدلالة السياق عليه، وإن لم يسبق له ذكر، معلوم لدى أهل البلاغة والعربية، معروف لديهم، فلا يعقل أن يرجع –اسم الإشارة- إلى شيء مجهول، لأنّ ذلك قدحاً في البلاغة العربية وفصاحتها. فيورد ابن عاشور أكثر من وجه في المحال إليه، الوجه الأول أن الإشارة في (ذلك) راجعة إلى

القرآن المعروف لديهم يومئذ، واسم الإشارة مبتدأ و (الكتاب) بدل وخبره ما بعده، فالإشارة إلى (الكتاب) النازل بالفعل وهي السور المتقدمة على سورة البقرة، لأن كل ما نزل من القرآن فهو المعبر عنه بأنه القرآن، وينضم إليه ما يلحق به، فيكون (الكتاب) على هذا الوجه أطلق حقيقة على ما كتب بالفعل، والوجه الثاني أن تكون الإشارة إلى جميع القرآن ما نزل وما سينزل؛ لأن نزوله مترقب، فهو حاضر في الأذهان، فشبه بالحاضر في العيان.[57] وهذا هو الراجح لأن القرآن الكريم كما أخبر الحق سبحانه: **[بَلْ هُوَ قُرءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوحٍ مَّحفُوظٍ]**[البروج: 21-22].

فاسم الإشارة قد يعود على ما في ذهن المتلقي من أمور معلومة، وهو لون كثير ما وقع منه في كتاب الله –تعالى-، وذلك أن كثيراً ما يعود اسم الإشارة على النبي ε أو على المؤمنين، أو على القرآن الكريم، دون ذكر سابق لهم، مكتفياً بعلمهم به، وبما استحضروه في أذهانهم، نحو قوله تعالى: **[الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ]**[إبراهيم: ١] فاسم الإشارة (إليك) يعود على النبي ε مع أنّه لم يسبق له ذكر، فُهم ذلك من السياق القرآني للآية.

فمن خلال الإحالة نرى اسم الإشارة ربط الآية بالقرآن كاملاً، وذلك أن القرآن من جنس هذه الحروف التي يعرفونها، وينطقون بها، وينظمون منها قصائدهم وأشعارهم، وخطبهم ومقالتهم، مع ما فيه من تحدٍ وإعجاز.

المطلب الثالث: الاسم الموصول وأثره في ابراز المناسبة.

تعد الأسماء الموصولة إحدى وسائل التماسك النصي؛ لما تحدثه من تماسك بين اسم الموصول وجملة الصلة التي تلزم بعده، "فالأسماء الموصولة من المعارف التي تفتقر إلى صلة وعائد"[58]، فهو اسم معرّف يتعين المقصود منه بجملة بعده تسمى صلة، ويجب أن تشتمل الصلة على ضمير يعود على الموصول يسمى عائدا[59].

فهو اسم مبهم يحتاج إلى جملة لتزيل إبهامه وتوضحه، كما تحتاج جملة الصلة والاسم الموصول إلى ضمير تعودان عليه؛ ليجليه ويوضحه، "والأسماء الموصولة لا تتم معانيها إلا بصلات توضحها وتخصصها، ولا تكون صلاتها إلاّ الجمل، أو الظروف. ولا بد في الصلة من ضمير يعود إلى الموصول، ولا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول، ولا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي، ولا تكون الصلة إلا جملة خبرية"[60].

وقد تكون الإحالة لما قبله مباشرة، أو في جملة سابقة، أو جملة سابقة ويفصل بينهما عدد من الجمل، وقد تكون إحالته خارجية.[61] كما أنّ الموصولات تربطك بما بعدها، فهي كذلك إحدى أدوات الإحالة التي تربط بمذكور سابق لها، وقد يتكرر بصورة واحدة، ويظل مرتبطاً بهذا المذكور السابق، محدثاً نسقاً واحداً للنص كله[62].

وأما الأسماء الموصولة فهي: الذي والتي وتثنيتهما: اللذان واللتان، وفي النصب اللذين واللتين، وجمع الذي الذين، وجمع التي اللاتي واللائي، وجمع اللاتي: اللواتي، ومن وما[63].

وفيما يلي أمثلة تطبيقية في ابراز المناسبة المبتناة على الإحالة من خلال الاسم الموصول:

أولاً: قوله تعالى: **[وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ]**[النور: ٣٣].

جاءت الآية السابقة في مجموعة من الأوامر التي رغب الله فيها، وجاء بالموصول وصلته لهذا الأمر، وهو طلب العفة وصون النفس عن الانزلاق في المعاصي، "ولما ذكر سبحانه تزويج الحرائر والإماء، ذكر حال من يعجز عن ذلك، فقال: وليستعفف، أي وليجتهد في العفة، كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه"[64]. وجاء بـ(حتى) التي هي لانتهاء الغاية، والتي هي متعلقة بمراد الله تعالى، وهي الغنى والقدرة على الكسب التي هي أحد أمور الغيب، "حيث أمر أولا بما يعصم عن الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية، وهو غض البصر، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء، وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه"[65]. فالأمر في الآيات للمؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وحفظ الفرج، وستر العورة، وعدم إظهار الزينة إلا ما ظهر منها، ثمّ أمر بالتعفف لمن لا يستطيع النكاح.

ويذكر ابن عاشور عن عودة الموصول في الآيات السابقة "بأن أمر كل من تعلق به الأمر بالنكاح بأن يلازموا العفاف في مدة انتظارهم، وتيسير النكاح لهم"[66]. فالموصول الذي ذكر في الآية يحيل إلى المؤمنين الذين سبق ذكرهم في الآيات السابقة، ليعطي استمرارية في الخطاب للمؤمنين، فتكون الآيات متتابعة متناسقة تحيل إلى عنصر واحد وهم المؤمنون.

ومن الأمثلة على المناسبة المبنية على الموصول المعلوم في الذهن، قوله تعالى: **[تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا]**[الفرقان:١– ٢].

افتتحت سورة الفرقان بهذه الآيات، وجاء الموصول فيهما دون أن يكون له ذكر سابق، ولكن دل السياق على أن الموصول معلوم للسامع ومعروف لديهم، وهو الله -تبارك وتعالى-. يقول الرازي: "كلمة (الذي) موضوعة للإشارة إلى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة، وعند هذا يظهر الإشكال، وهو أن القوم ما كانوا عالمين بأنه سبحانه هو الذي نزل الفرقان، فكيف حسن هاهنا لفظ (الذي)؟ وجوابه: أنه لما قامت الدلالة على كون القرآن معجزاً، ظهر بحسب الدليل كونه من عند الله، فأجراه I مجرى المعلوم."[67] فالموصول في هذه الآيات معلوم للسامع معروف لديه، فجاء الموصول دون أن يكون له ذكر مسبق، لأن الوصف في هذه الآيات لا ينطبق على غيره، ولا يشمل سواه.

وأمّا المناسبة بين الآيتين السابقتين وأثر الصلة فيها، فيقول البقاعي: "ولما تقدم ذكر منزل الفرقان سبحانه، وذكر الفرقان والمنزل عليه على طريق الإجمال، أتبع ذلك تفصيله على الترتيب، فبدأ بوصف المنزل سبحانه بما هو أدل دليل على إرادة التعميم في الرسالة لكل من يريد، فجاء بالموصول"[68].

فالذي نزل الفرقان هو الله –تعالى-، وهو الذي له ملك السموات والأرض، وإن كانوا لا يقرون بذلك بعبادتهم وأفعالهم، فإنهم يقرون بذلك في الخلق والرزق والإيجاد والتكوين، قال تعالى: **[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**

وَسَـخَّرَ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ[العنكبوت: ٦١]، وقوله: **[وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ]**[الزخرف: ٩] والآيات في ذلك كثيرة. يقول أبو حيان: "فجاء الفعل مسـندا إلى (الذي)، وهم وإن كانوا لا يقرون بأنه تعالى هو الذي نزل الفرقان، فقد قام الدليل على إعجازه، فصـارت الصـلة معلومة بحسـب الدليل، وإن كانوا منكرين لذلك"[(69)]. فالموصول كثيراً ما يتكرر وصفاً لله –تعالى-، ويأتي في مقام إثبات الألوهية والوحدانية، مما يسهم في ترابط الآيات وانسجامها، خاصة إذا اقترنت بالضمير.

مما تقدم يظهر لنا أن الإحالة بمفهومها المعاصـر، هي إحدى الطرق التي يتوصـل بها إلى ابراز المناسـبة بين الآيات القرآنية، حيث تعمل الإحالة على ابراز التماسك، وإظهار التناسق والترابط بين الآيات، لتعطي في النهاية تنوعاً في النقلات، وتغايراً في عرض الموضـوعات، وجمالاً في التعبير، وتنوعاً في التصـوير الذهني لدى المتلقي، التي بدورها تربط المتلقي بالسياق القرآني، وتلفت الانتباه، وتشد الفكر، وتُعمل العقل ليتتبع عودة الضمير أو اسم الإشارة بما يربطه والسياق القرآني، فيشعر المتلقي بتسلسل الآيات، وتناسب العبارات، وتناسق الموضوعات القرآنية، مما يعطي امتداداً للمناسبة في أفق المتلقي ليشمل جميع آيات السور القرآنية، فتكون المناسبة بين الآيات أشد وضوحاً في الذهن، أكثر بياناً للمتلقي، وأعظم إعجازاً في الدلالة.

الخاتمة.

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بعد هذه الدراســة التي ركزت على بيان أثر الإحالة في إبراز المناســبة بين الآيات القرآنية، وبيان ما لها من أثر في الكشف عن بعض أسرار النظم القرآني وتجلية معانيه، أود أن أسجل **النتائج** التي خلصت إليها الدراسة، وهي كما يلي:

1- إن مصـطلح الإحالة بمفهومه اللغوي والاصـطلاحي يرجع إلى معنى واحد، ودلالة واحدة، فما يرجع عليه الضـمير، أو ما يعود عليه الضـمير، أو يحيل إليه الضـمير، كلها تحمل مسـمى واحد، وإن اختلفت الصـيغة الدلالية للمفردات. فهي تطلق على عناصر لا تملك دلالةً مستقلةً بنفسها، بل تعود على عناصر أخرى مذكورة في جزء آخر من النص.

2- إن علم المناسـبة مبني على ترابط بين جميع أجزاء القرآن الكريم، فيبرز الترابط الجُمَلي في الآية الواحدة، والترابط بين الآيات في السـورة والواحدة، والترابط بين موضـوعات السـورة الواحدة، والترابط بين السـور بعضـها مع بعض ليعم جميع سور القرآن، وهو ما يعرف بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم.

3- التناسـب بالإحالة بالمفهوم المعاصـر من الموضـوعات التي أدرجت مؤخراً، ولكن أصـول هذا العلم وفروعه تمتد إلى القدم، فاسم الإشارة والموصولات والضمائر وما يتعلق بها من موضوعات، ذكرها علماء التفسير وأهل اللغة، وأشاروا إليها وبينوا دلالاتها، ولكن ليس بالمفهوم الحالي المتعارف عليه في هذا العصر.

4- التناسـب بالإحالة بالمفهوم المعاصـر؛ إمّا أن تكون إحالة نصـية تحيلك إلى عنصـر سـابق أو لاحق، وهذا يعطي ترابطاً للسـياق، فيربطك مع أمر قبله أو بعده، وأمّا إحالة مقامية فتحيلك إلى عنصـر خارج النص، هذا بدوره يعطي ترابطاً بين الموضوعات، فيربطك في سياق السورة بوجه عام.

5- إن عناصر الإحالة سواء أكان الضمير أو الموصول أو الإشارة فهي إمّا أن تحيلك إلى عنصر واحد، وهو الأغلب في عملها، أو أن تحيلك إلى أكثر من عنصر، وهذا بدوره يعطي سعةً في أفق المفسر، وتنوعاً في عرض القضية، وتفاعلاً من المتلقي، كل هذا دون أن يدخل إخلالاً في المعنى، أو تعارضاً في الدلالة.

6- إن مفهوم الإحالة ودلالته يعد نوعاً من الإيجاز والإعجاز، ذلك أن ذكر عنصر من عناصر الإحالة يغنيك عن ذكر العناصر المتعددة التي يرجع إليها، وهذا وجه من وجوه البلاغة العربية، التي تُعد أصل الإعجاز القرآني ومادته.

7- أظهرت أساليب الترابط والتناسق بين الآيات المبني على مفهوم الإحالة وحدة متكاملة الأبعاد، مما أضفى امتزاجاً وتلاحماً بين المعنى اللغوي وتراكيبه اللفظية.

8- الترابط العميق في نظم الآيات، والتناسب بينها، من العلوم المتجددة التي لا يمكن حصرها واقتصارها على مباحث معينة ودراسات محددة، فهي تدخل في أوجه إعجاز القرآن الكريم، الذي يصعب حصرها.

9- من أبرز السمات التي أفادها مفهوم الإحالة؛ ترجيح بعض القضايا القرآنية التي توسع بعض المفسرين في طرحها وعرضها، فبرز أثر الإحالة في الكشف عنها، والترجيح بينها، وبيان دلالتها.

10- غياب التضارب بين مفهوم الإحالة بشكله المعاصر، و ما كان عليه المفهوم عند أهل اللغة والتفسير، وإن لم يحمل المسمى نفسه.

التوصيات:

1- ضرورة الاطلاع على العلوم المستحدثة والإفادة منها، شريطة عدم تعارضها مع ما قال به علماؤنا السابقون، فالحكمة ضالة المؤمن.

2- طرح هذه القضية –مفهوم الإحالة- في مؤتمرات علمية عملية؛ لتعريف طلبة العلم الشرعي بها وبكل علم مستجد يمكن أن يخدم هذا العلم الشرعي، وعلم التفسير خصوصاً.

3- التوسع في طرح مثل هذه القضية في رسائل علمية -ماجستير او دكتوراه– للوقوف على المزيد من الأمثلة للكشف عن مكنون ما قال به علماء التفسير.

الهوامش.

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ت عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، 1979م، (د.ط)، ج2، ص121.

(2) خطابي، محمد **لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص**، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1991، (ط1)، ص17.

(3) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج5، ص423.

(4) الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ت صفوان الداودي، دمشق، دار القلم، 1412 هـ، (ط1)، ص801.

(5) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (711 هـ)، **لسان العرب**، ت عبد الله علي، وآخرون، القاهرة، دار المعارف، د.ت، (د.ط)، ج6، ص4405.

(6) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (المتوفى: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت محمد أبو الفضل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م، (د.ط)، ج3، ص369.

(7) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي(المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، (ط1)، ج1، ص6.
(8) بازمول، محمد **علم المناسبات في السور والآيات**، مكة المكرمة، المكتبة المكية، 2002، (ط1)، ص27.
(9) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (المتوفى:794 ه)، **البرهان في علوم القرآن**، ت محمد أبو الفضل، بيروت، دار المعارف، 1957م، (ط1)، ج1، ص38.
(10) أبو هزيم، أحمد، أحمد شكري، **تفسير الفاتحة وجزء عم**، عمان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2018م، (ط1)، ص142.
(11) الزركشي، **البرهان**، ج1، ص37.
(12) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص320.
(13) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني(المتوفى:1250)، **فتح القدير**، دمشق، دار ابن كثير، 1414ه، (ط1)، ج5، ص624.
(14) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (606ه)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، (ط3)، ج32، ص341.
(15) ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي (المتوفى: 1354ه)، **تفسير المنار**، القاهرة، الهيئة المصرية العالمية للكتاب، 1990م، (د. ط)، ج10، ص466.
(16) بن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي(المتوفى: 542ه)، **محرر الوجيز**، ت عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتاب العالمية، 1422ه، (ط1)، ج1، ص49.
(17) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص 218، مع التصرف.
(18) ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص 351.
(19) خطابي، **لسانيات النص**، ص17-16 .
(20) صبحي إبراهيم الفقي، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على سور القرآن**، القاهرة، دار قباء، 2001م، (د.ط)، ج1، ص62.
(21) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن المصري(المتوفى: 769ه)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ت محمد محيي الدين، القاهرة، دار التراث، ، 1980م، (ط20)، ج1، ص92.
(22) ينظر: البطاشي، خليل، **الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، عمان، دار جرير، 2009م، (ط1)، ص165
(23) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (المتوفى:310ه) **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت أحمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000م، (ط1)، ج24، ص258.
(24) بو ترعة، عبد الحميد، **الإحالة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني**، مجلة الأثير، الجزائر، جامعة الوادي، المجلد 22، العدد23، 2012م، ص 89.
(25) البطاشي، **الترابط النصي**، ص165.
(26) ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج1، ص92.
(27) عفيفي، أحمد، **الإحالة في نحو النص**، دار العلوم، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعرب والدراسات النحوية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2005م، (د.ط) ص8.
(28) النحاس، مصطفى، **نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، الكويت، ذات السلاسل، 2001م، (د.ط)، ص61.
(29) البطاشي، **الترابط النصي**، ص 167.
(30) ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج1، ص92.
(31) المصدر نفسه، ج1، ص95.
(32) ينظر: خطابي، **لسانيات النص**، ص18.
(33) المرجع نفسه، ص18.
(34) الأفغاني، سعيد، **الوجيز في قواعد اللغة**، بيروت، دار الفكر، 1970م، (د.ط)، ص106.
(35) الفقي، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، ج1، ص156.
(36) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج3، ص489.
(37) ينظر: خطابي، **لسانيات النص**، ص176.

(38) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج3، ص489.
(39) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (المتوفى: 1393هـ)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، تونس، الدار التونسية، 1984م، (د.ط) ج1، ص478.
(40) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، (ط3)، ج1، ص204.
(41) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت صدقي محمد، بيروت، دار الفكر، 1420هـ، (د.ط)، ج 2، ص32-33.
(42) ينظر: الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت علي عبد الباري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ، (ط1)، ج1، ص411.
(43) محمد رشيد، **المنار**، ج2، ص17.
(44) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ، ج2، ص33.
(45) الشوكاني، **فتح القدير**، ج1، ص179.
(46) خطابي، **لسانيات النص**، ص175.
(47) مرجع نفسه، ص19.
(48) ينظر: ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد (المتوفى: 761هـ)، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ت محمد محيى الدين، القاهرة، د.ن، 1383ه، (ط11)، ص98.
(49) بحيرة، سعيد، **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، القاهرة، المكتبة الأدب، 2005م، (د.ط)، ص149.
(50) ينظر: ابن يعيش، يعيش بن علي (المتوفى: 643ه)، **شرح المفصل**، ت إميل يعقوب، بيروت، دار الكتاب العالمية، 2001م، (ط1) ج1، ص352.
(51) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج13، ص 54.
(52) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج4، ص205.
(53) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص577-578.
(54) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص355.
(55) البقاعي، **نظم الدرر**، ج1، ص497.
(56) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج1، ص295.
(57) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص219.
(58) ابن هشام، **شرح قطر الندى**، ص101، "بتصرف يسير".
(59) الجارم، علي ومصطفى أمين (ت- 1949م)، **النحو الواضح في قواعد اللغة العربية**، السعودية، الدار المصرية، د.ت، (د.ط)، ص216.
(60) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (المتوفى: 392هـ)، **اللمع في العربية**، ت فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية، د.ت، (د.ط)، ص189.
(61) ينظر: أبو صيني، عثمان، **الرابط في سورة النور في ضوء نحو النص**، أطروحة دكتوراه، أربد، جامعة اليرموك، كلية الأدب، 2010، ص67.
(62) ينظر: بو ترعة، **الإحالة النصية**، ص92.
(63) ينظر: ابن جني، **اللمع في العربية**، ص188.
(64) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج23، ص273.
(65) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص39.
(66) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج18، ص218.
(67) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج24، ص428.
(68) البقاعي، **نظم الدرر**، 13، ص335 .
(69) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص79.

المصادر والمراجع بالإنجليزي (رومنة).

- الأفغاني؛ سعيد، **الوجيز في قواعد اللغة**، بيروت، دار الفكر، 1970م، (د.ط).
- الآلوسي؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت:1270هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت علي عبد الباري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، (ط1).
- بازمول؛ محمد؛ **علم المناسبات في السور والآيات**، مكة المكرمة، المكتبة المكية، 2002م، (ط1)، almakiyati, 2002mi, (ta1)
- بحيرة؛ سعيد، **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، القاهرة، المكتبة الأدب، 2005م، (د.ط،).
- البطاشي؛ خليل، **الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، عمان، دار جرير، 2009م، (ط1).
- البقاعي؛ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، (ط1).
- بو ترعة؛ عبد الحميد، **الإحالة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني**، مجلة الأثير، الجزائر، جامعة الوادي، المجلد 22، العدد23، 2012م.
- الجارم؛ علي ومصطفى أمين (ت- 1949م)، **النحو الواضح في قواعد اللغة العربية**، السعودية، الدار المصرية، د.ت، (د.ط).
- ابن جني؛ أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: 392هـ)، **اللمع في العربية**، ت فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية، د.ت، (د.ط).
- أبو حيان؛ محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد، بيروت، دار الفكر، 1420 هـ، (د.ط).
- خطابي؛ محمد، **لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص**، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1991، (ط1).
- الرازي؛ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت: 606ه)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، (ط3).
- الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، دار القلم، 1412هـ، (ط1)
- رضا؛ محمد رشيد بن علي (ت: 1354ه)، **تفسير المنار**، القاهرة، الهيئة المصرية العالمية للكتاب، 1990م، (د. ط)
- الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:794 ه)، **البرهان في علوم القرآن**، ت محمد أبو الفضل، بيروت، دار المعارف، 1957م، (ط1).
- الزمخشري؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ، (ط3).
- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، (د.ط).
- الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد اليمني(ت:1250)، **فتح القدير**، دمشق، دار ابن كثير، 1414ه، (ط1).
- أبو صيني؛ عثمان، **الرابط في سورة النور في ضوء نحو النص**، أطروحة دكتوراه، أربد، جامعة اليرموك، كلية الأدب، 2010م.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310ه) **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000م، (ط1).
- ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، تونس، الدار التونسية، 1984 هـ، (د.ط).
- ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 542ه)، **محرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتاب العالمية، 1422ه، (ط1).
- عفيفي؛ أحمد، **الإحالة في نحو النص**، دار العلوم، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعرب والدراسات النحوية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2005م.
- ابن عقيل؛ عبد الله بن عبد الرحمن المصري (ت: 769ه)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ت محمد محيي الدين، القاهرة، دار التراث، 1980م، (ط20).
- ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، 1979م، (د.ط).

- الفقي؛ صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على سور القرآن**، القاهرة، دار قباء، 2001، (د.ط).
- ابن منظور؛ أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: 711 هـ)، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي، وآخرون، القاهرة، دار المعارف، د.ت، (د.ط).
- النحاس؛ مصطفى، **نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، الكويت، ذات السلاسل، 2001م، (د.ط).
- ابو هزيم، أحمد، أحمد شكري، **تفسير الفاتحة وجزء عم**، عمان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2018م، (ط1).
- ابن هشام؛ عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت: 761هـ)، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: محمد محيى الدين، القاهرة، د.م، 1383ه، (ط11).
- ابن يعيش؛ يعيش بن علي (ت: 643ه)، **شرح المفصل**، تحقيق: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتاب العالمية، 2001م، (ط1).

- al'afghani; saeid, alwajiz fi qawaeid allughati, bayrut, dar alfikri, 1970m, (du.ta).
- alalwsy; shihab aldiyn mahmud bin eabd allah (t: 1270h) ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, t eali eabd albari, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1415 hu, (tu1).
- bazimula; muhamadi; ealm almunasabat fi alsuwr walayat, makat almukaramatu, almaktabat
- buhayratu; saeid, dirasat lughawiat tatbiqiat fi alealaqat bayn albinyat waldilalati, alqahirati, almaktabat al'adibi, 2005m, (du.ta,)
- albatashi; khalil, altarabut alnasiyu fi daw' altahlil allisanii lilkhatabi, eaman, dar jirir, 2009m, (tu1).
- albiqaei; 'iibrahim bin eumar bn hasan alribat (t: 885hi), nazam aldarar fi tanasub alayat walsuwri, alqahirati, dar alkitaab al'iislami, da.ta, (tu1).
- bu tureat; eabd alhamid, al'iihalat wa'atharuha fi tahqiq tamasuk alnasi alqurani, majalat al'athir, aljazayar, jamieat alwadi, almujalad 22, aleudad23, 2012m
- aljarmi; eali wamustafaa 'amin (t- 1949mi), alnahw alwadih fi qawaeid allughat alearabiati, alsaeudiat, aldaar almisriati, da.t, (du.ta).
- abin jini; 'abu alfath euthman almusali (t: 392h), allamae fi alearabiat, t fayiz fars, alkuaytu, dar alkutub althaqafiati, da.t, (du.ta).
- 'abu hayan; muhamad bin yusif bin ali al'andalusi (t: 745h), albahr almuhit fi altafsiri, t sidqi muhamad, birut, dar alfikri, 1420 ha, (du.ta).
- khatabi; muhamadu, lisaniaat alnasi madkhal 'iilaa ansijam alnas, bayrut, almarkaz althaqafii alearabia, 1991, (ta1).
- alraazi; fakhr aldiyn 'abu eabd allh muhamad bin eumar (t:606h), mafatih alghib, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, da.ta, (tu3).
- alraaghib al'asfahani; 'abu alqasim alhusayn bin muhamad (t: 502h), almufradat fi gharayb alquran, t safwan aldaawudii, dimashqa, dar alqalama, 1412 ha,(ta1)
- rida; muhamad rashid bin ealiin (t: 1354hi), tafsir almanari, alqahirati, alhayyat almisriat alealamiat lilkitabi, 1990m, (d. ta)
- alzarkashi; 'abu eabd allah badr aldiyn muhamad bin eabd allh (t:794 ha), alburhan fi eulum alquran, t muhamad 'abu alfadal, bayrut, dar almaearifi, 1957ma, (tu1).

- alzamakhshari; 'abu alqasim jar allah mahmud bin eamriw (t: 538h),alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzili, bayrut, dar alkitaab alearabii, 1407 ha, (tu3).
- alsyuti; jalal aldiyn eabd alrahman (t: 911h), al'iitqan fi eulum alqurani, t muhamad 'abu alfadal, alqahirati, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1974 mu, (du.t).
- alshuwkani; muhamad bin ealiin bin muhamad alyamni (t:1250), fath alqidir, dimashqa, dar abn kathir, 1414hi, (ta1).
- 'abu sini; euthman, alraabit fi surat alnuwr fi daw' nahw alnas, 'utruhat dukturah, 'arbadu, jamieat alyrmuk, kuliyat al'adba, 2010m.
- altabri; 'abu jaefar muhamad bin jarir (t:310hi) jamie albayan fi tawil alqurani, t 'ahmad shakiri, bayrut, muasasat alrisalati, 2000ma, (tu1).
- abin eashur; muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir (t: 1393hi) <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitab almajid>> ,tunus, aldaar altuwnusiat, 1984 hi ,(du.ta.(
- abin eatiat; 'abu muhamad eabd alhaqi bin ghalib al'andalusi (t: 542hi), muharir alwijiz, t eabd alsalam eabd alshaafi, birut, dar alkitab alealamiati, 1422hi, (tu1.(
- efifi; 'ahmadu, al'iihalat fi nahw alnas, dar aleulumi, bahath fi kitab almutamar althaalith lilearab waldirasat alnahwiati, jamieat alqahirati, kuliyat dar aleulumi, 2005m.
- abin eaqila; eabd allh bin eabd alrahman almasriu (t: 769hi), sharh abn eaqil ealaa 'alfiat abn malki, t muhamad muhyi aldiyn, alqahirata, dar altirath,1980ma, (ta20).
- abin fars; 'abu alhusayn 'ahmad bin faris alqazwini (t: 395h), muejam maqayis allughati, t eabd alsalam muhamad harun, birut, dar alfikri, 1979m, (du.ta).
- alfaqi; subhi 'iibrahima, ealm allughat alnasiyi bayn alnazariat waltatbiq dirasat tatbiqiat ealaa sur alqurani, alqahirata, dar qaba'i, 2001, (du.t).
- abin manzur; 'abu alfadl muhamad bin makram (t: 711 hu), lisan alearbi, t eabd allah ealay, wakhrun, alqahirata, dar almaearifi, da.ta, (du.ta).
- alnahasi; mustafaa, nahw alnasi fi daw' altahlil allisanii lilkhatabi, alkuayti, dhat alsalasili, 2001m, (du.ta).
- abu hazimi, 'ahmadu, 'ahmad shakri, tafsir alfatihat wajuz' eamu, eaman, jameiat almuhafazat ealaa alquran alkarim, 2018m, (tu1).
- abin hisham; eabd allah jamal aldiyn bin yusif (t: 761h), sharh qatar alnadaa wabal alsadaa, t muhamad mahyaa aldiyn, alqahiratu, da.mi, 1383h, (ta11).
- abin yaeish; yaeish bin ealiin (ti: 643hi), sharh almufasali, t 'iimil yaequob bayrut, dar alkitab alealamiati, 2001ma, (tu1).